المضامين الأخلاقية عند الشاعر يحيى بن الحكم الغزال في ضوء الانساق التصورية الادراكية

The ethical implications of the poet Yahya bin al-Hakam al-Ghazal in the light of the conceptual patterns

م.د صفاء حسين لطيف [1] . Safaa Hussain Lateef

الملخص

يهدف هذا البحث الى بيان المضامين الاخلاقية عند يحي بن حكم الغزال في ضوء الانساق التصويرية دراسة دلالية ادراكية فهو من اشهر شعراء الاندلس المشهورين في القرن الثالث للهجرة.

ولأن الأخلاق والمفاهيم الأخلاقية تعد عنصراً مهماً في بناء الصرح الاجتماعي، فضلاً عن ما عرف عن الشاعر من اهتمامه بالمجتمع وقضاياه، لذا فإن الباحث قد ارتأى تسليط الضوء على المضامين الاخلاقية في شعره ودراستهما في ضوء اللسانيات الادراكية الحديثة.

من اجل اثراء المكتبة الاندلسية التي تحتاج من الباحثين الشيء الكثير لكشف النقاب عن كنوزها.

Abstract

This research aims to show the moral contents in the poetry of Yahya bin Hikm al-Ghazal in the light of the graphic patterns, a study of cognitive Adakia is one of the famous poets of Andalusia famous in the third century AH.

And because ethics and moral concepts are an important element in building the social edifice, in addition to what is known about the poet of his interest in society and its issues, so the researcher has decided to shed light

1- جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية.

on the moral implications in his poetry and study in the light of modern cognitive linguistics.

In order to enrich the Andalusian Library, which requires a lot of researchers to reveal their treasures.

المقدمة

تعد الاخلاق والمفاهيم الاخلاقية عنصراً هاماً في بناء الصرح الاجتماعي في الثقافة الاسلامية، ويعد الشاعر يحيى بن حكم الغزال من شعراء الأندلس المجيدين الذين اهتموا كثيراً بالجانب الاخلاقي في اشعارهم، ونظراً لما لعبهُ علم اللسانيات الادراكية من دورٍ كبير في معرفةِ الانساق التصورية بمختلف اشكالها الاتجاهية والانطولوجية والبنيوية جاءت فكرة البحث الموسوم بـ((المضامين الأخلاقية عند الشاعر يحيى بن الحكم الغزال في ضوء الأنساق التصورية دراسة دلالية ادراكية)) إذ يهدف البحث إلى قراءة الاستعارات الادراكية التي استخدمها الشاعر يحيى بن حكم الغزال بحسب تجاربه التي عاشها وثقافته الاسلامية بغية تبيين المضامين الاخلاقية ويعتمد في ذلك ادوات المنهج الوصفي التحليلي.

الشاعر يحيى بن حكم الغزال:

اسمه وشخصيته:

هو يحيى بن الحكم الغزالي البكري الجيّاني الاندلسي (١٥٦-٢٥٠هـ) ونسب الى قبيلة بكر بن وائل القبيلة العربية المشهورة، والجيّاني نسبة الى مدينة جيان في الاندلس[٢].

ولقبه الغزال جاء من الأمير عبد الرحمن الاوسط اذ دخل عليه يوما فحياه بقوله:

((جاء الغزال بحسنه وجماله))

وطلب اليه ان يجيزه فقال[٣]:

قال الأمير مداعباً بمقالة ((جاء الغزال بحسنه وجماله))
اين الجمال من امرىءٍ أربى على متعدد السبعين من احواله

وقد افاضت المصادر الاولية في الحديث عن الشاعر وذكرت لنا ابرز الاحداث التي مرت به في حياته اذ كان متفاعلاً مع احداث عصره السياسية والاجتماعية، وجاءت اشعاره لتصور لنا حياته بكل ابعادها، وشخصيته المتعددة الجوانب.

وقد اجمع الدارسون على ان حياة الغزال يمكن تقسيمها على مرحلتين هما:

١- المرحلة الجدية التي انغمس فيها بأمور الحياة وتمثل هذا الامر في سفارته ورحلاته ومغامراته وموقفه مع المرأة وغيرها.

٢- يُنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م (جيان)، ويُنظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس لأبي عبدالله محمد بن ابي نصر الحميدي، قدمه وشرحه:د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م: ٣٦٢.

٣- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، تحقيق: كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ٩٣/٢، يُنظر أيضاً: الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: د. منجد مصطفى بهجت، دار الباقر، النجف الاشرف، د. ط، د. ت: ٦٩.

٢- مرحلة الزهد والتنسك والتوجه الى الله والتوبة اليه.

الآراء التي قيلت فيه وفي شعره:

تعددت الآراء التي قيلت بالغزال ولكنها بالإجماع تُثني عليه وتشيد به وبقوة شعره وجزالته. ومنها:

ما قاله الحميدي: ((رئيسُ، كثير القول مطبوع النظم في الحِكَمِ والجدِّ والهزْل، وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند امراءِ بلده))[٤].

وقال عنه المغرب: ((شاعر اديب حكيم))[٥].

وقال عنه ابن دحية الكلبي[٦]: ((القاعد على كيوان، شاعر ذلك الاوان، وقد اثبت له من قوله ما يشهد بإبداعه، وحسن تصرفه في المعاني واختراعه، وطول يده في الادب، وامتداد باعه))

وقال عنه المقري التلمساني: ((كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرّافها))[٧].

أما آراء المحدثين فقد تعددت وكثرت وقد اجمعت كلها على شاعريته وجديته في الشعر فضلاً عن امتلاكهِ ثروةً شعرية وفكرية متنوعة.

فالدكتور محمد زكريا عناني يقول عنه[٨]: ((تلمح في سريرته النقاء والصفاء النفسي فتحبه وتتطلع الى اعماقه ومحاوراته فتحس انك تعيش على مقربةٍ منه)).

وقال عنه د. حكمت الاوسي انه قد سلك: ((مسلكاً واقعياً في تقلبه لأمور الحياة))[٩].

وقد اتفق د. محمد علي سلامة مع من سبقوه في كونه ناقداً اجتماعياً فقال: ((ناقداً اجتماعياً لعيوب الناس في سخرية لاذعة، ثم احساس كبير بالحرارة))[١٠].

وهناك الكثير من الآراء التي قيلت بحق الشاعر يحيى بن حكم الغزال ذكرنا ما سبق منها للتأكيد على حظوة الشاعر ومنزلته عند الجميع وبيان مكانته الادبية الحاضرة عندهم.

الاطار النظري:

تعد اللسانيات الادراكية من العلوم اللغوية الحديثة نسبياً، اذ انها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدراسات النفسية التي تصب اهتمامها بعمل الدماغ ومتابعته ومراقبة العمليات العقلية المختلفة التي لها اتصال مباشر بالمعرفة الانسانية والادراك بشكل عام، لذلك فهو علم يكشف لنا العلاقة بين الثقافة والادراك واللغة[١١].

٤- جذوة المقتبس: ٣٦٢- ٣٦٣.

٥- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤: ٥٧/٢.

٦- المطرب في اشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ)، تحقيق: مصطفى عوض، مصر، ١٩٥٧: ١٣٣.

٧- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، للمقري التلمساني، تحقيق: يوسف الشيخ، دار الفكر للطباعة، ط١، ١٩٩٨: ٣٨٠/٢.

٨- تاريخ الادب الاندلسي، د. محمد زكريا عناني، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ٩١.

٩- فصول في الادب الاندلسي، د. حكمت على الاوسي: مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٧٤م: ٩٩.

١٠- الادب العربي في الاندلس، تطوره، موضوعاته، واشهر اعلامه، د. محمد علي سلامة، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م: ٢٥٤.

١١- يُنظر: النظرية الادراكية واثرها في الدرس البلاغي، صالح الهادي رمضان، ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول، الرياض، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ١٤٣٢هـ: ١٨-١٩.

وأصحاب هذا الاتجاه في اللغة على اختلاف منطلقاتهم يرفضون القول باستقلالية النظام اللغوي، فهم لا يفرقون بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام ولا يفصلون بينهما، فالمعرفة اللغوية لديهم جزء مهم من الادراك العقلي الذي لا يميز بين المعلومات اللغوية وغير اللغوية الذي بجانبه يتأثر بنسبة كبيرة من المحيط الذي يعيش به الانسان وما يكتبه من تجاربه المختلفة.

فالبنية اللغوية عندهم بمستوياتها العامة والمختلفة تتشكل نتيجة تحكم العمليات العقلية، فضلاً عن تحكمها في التفكير الانساني وفي تكوين المعرفة بشكل عام[١٢].

وبناءً على ذلك فإن هناك مستوى واحداً تعالج فيه المعلومات اللغوية فضلاً عن المعلومات الاخرى الحركية والبصرية والسمعية غير اللغوية للوصول الى مجموعة من المعلومات لا ينبغي التمييز داخلها بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي، وهذا المستوى يطلق عليه مستوى البنية التصورية[١٣].

وبما ان الفلسفة الارسطية اهملت الخيال فان اصحاب هذا الاتجاه يخالفونها (لأنّها لا تضع للخيال دوراً اساسياً في عمليات التفكير والادراك. الاّ إنّهم يعدُّون للخيال قدرةً انسانية مهمة ذات اثر فاعل وعميق في تشكيل الفهم البشري، وفي بناء معرفته الانسانية، فهو يُعد آلية أساسية يلجأ اليها العقل البشري لفهم الاشياء من حوله، ونقل هذا الفهم للآخرين[١٤].

لذلك نجد أن أصحاب نظرية الدلالة المعرفية وعلى رأسها كل من (جورج لايكوف و مارك جونسون) قد صبّوا اهتمامهم وبشدة على الاستعارة في كتابهما المشترك (الاستعارات التي نحيا بها).

فهما قد نقلا مفهوم الاستعارة من الباب التقليدي الذي رسمه لها اصحاب الدراسات اللغوية التقليدية بعدّهم اياها خاصية لغوية صادرة من ابداع شاعر او اديب وتصب اهتمامها على الالفاظ فقط، وليس على التفكير او السلوك الى مظهرٍ ثقافي عام تتأثر به اللغة كما تتأثر به سائر المظاهر الاخرى مثل السلوكيات والانشطة التي نباشرها[١٥].

فالاستعارة عندهما فكرية ترتبط بنسق الانسان التصوري التي يستطيع الانسان من خلالها تنظيم العالم واحتواءه.

وما دام نسق الانسان التصوري استعاري بطبيعته؛ لذا فان الاستعارة ليست شعرية بلاغية تجميلية فهي بالدرجة الاساس ملازمة للحياة اليومية ولا يكاد يدركها الانسان في كثير من الاحيان، ومن هنا لا يمكن الحديث عن انزياح اللغة الاستعارية عن اللغة الاعتيادية لان العادة هي الاستعارة لا غيرها[١٦].

١٢- يُنظر: الاستعارات والخطاب الادبي-مقاربة معرفية معاصرة: عمر بن دحمان (اطروحة دكتوراه)، الجزائر، جامعة مولود معمري، ٢٠١٢م: ٢٨.

١٣- آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، لطيفة ابراهيم النجار، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب (١)، م ١٧، ٢٠٠٤: ٢.

١٤- يُنظر: آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة والنحو العربي: ٥- ٨، ويُنظر أيضاً: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: عطية سلمان أحمد، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط١، ٢٠١٤: ٣٦.

١٥- يُنظر: الاستعارات التي نحيا بها: جورج لا يكوف ومارك جونسون، ترجمة عبدالحميد جحفه، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩: ١٢.

١٦- يُنظر: حرب الخليج او الاستعارات التي تقتل، جورج لايكوف، ترجمة: عبدالحميد حجفة وعبدالاله سليم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ٢٠٠٥: ١١- ١٢.

وبعبارة أخرى فهُما (لايكوف وجونسون) يؤكدان أنَّ الاستعارة تعكس اليات عقلية يستعملها الناس ليتمكنوا من تصور مجالات مجردة أو غامضة في المعرفة الانسانية مثل (الزمن والسلبية والاتجاهات المكانية والافكار والعواطف) باستخدامهم تعبيرات في مجالات معرفية محددة ومألوفة عندهم(١٧).

لذلك فقد انكر كل منهما مفهوم العدول او الانزياح على ضوء نظرية اللسانيات الادراكية، وانكرا التمييز المثالي بين اللغة العادية واللغة الابداعية، وعدا الاستعارة نشاطاً فكرياً منغمساً ومنغرساً في لغة الاستعمال (اي في المعمار الذهني للإنسان)(١٨).

وبناءً على ما سبق يمكن ان نعد الاستعارة نسقاً تصورياً دائم الحضور في عمليتي الانتاج والتأويل معاً، وضمن هذا النسق التصوري تتمدد الاستعارة كنتاج تفرزه السيرورة التفاعلية بين الفرد ومحيطه هذا من جهة، وبين المتلقي ومحيطه من جهة أخرى(١٩).

الانساق التعددية:

أكد كل من (لايكوف وجونسون) أنَّ النسق التصوري العادي الذي يرسم اطاراً تفكيراً وسلوكياً ذو طبيعة استعارية(٢٠) وأن لكل انسان في هذا العالم نسقه التصوري الخاص به يُبنى من خلاله خبراته الفردية التي يعيشها فضلاً عن المحيط الذي يعيش فيه او تعامله مع العالم.

وبهذا فإن النسق التصوري يُعد بؤرةً لتحديد الحقائق اليومية وتفيد الاستعارة من هذا التحديد إذ تتجلى بتصور مظهر من خلال مظهر آخر(٢١).

وانطلاقاً من ذلك يمكننا القول بأن الاستعارات تظهر من خلال التصورات التي تولدت في النسق التصوري لكل فرد من خلال تعميم المعلوم على المجهول، واسقاط المشهور على الجديد(٢٢).

وكما في المثال الآتي الذي من خلاله يمكن ان تعد عبارة: (الزمن مالٌ) نسقاً تصورياً يستخدمه كلٌّ منا بشكل استعاري من خلال الجمل الآتية:

١. انت تضيع وقتي.
٢. انت لا تستغل وقتك جيداً.
٣. اشكرك على الوقت الذي منحتني اياه.

فإننا نتعامل مع الزمن كبضاعة ثمينة تؤخذ وتضيع وتُمنح وتُستغل وغيرها(٢٣).

ويجدر القول بأن الاستعارة التصورية النابعة من النسق التصوري لا تعطينا تصوراً كاملاً عن كل ما يوجد بين المستعار منه والمستعار له، وإنما تنقل لنا جزءً من التصور ليساعدنا في فهم الكلام، فهي بذلك استعارة جزئية تظهر لنا جوانب من التشابه وتخفي اخرى، كما في تصوير الزمن بالمال، وهذا يدل على ان الاسلوب

١٧- يُنظر: آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي: ٧.
١٨- يُنظر: النظرية الادراكية واثرها في الدرس البلاغي: ٨٦٧.
١٩- يُنظر: الاستعارات والشعر العربي الحديث: سعيد الحنصالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٩٥م: ٦٥.
٢٠- يُنظر: الاستعارات التي نحيا بها: ٢١.
٢١- يُنظر: الاستعارات الادراكية في شعر فاروق جويدة (رسالة ماجستير)، جامعة الملك سعود؛ آمنة بنت علي بن هادي شراحيلي، ٢٠١٤: ٤٠.
٢٢- يُنظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: ٣٢.
٢٣- يُنظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: ٤٠، ويُنظر أيضاً: الاستعارات التي نحيا بها: ٢٥-٢٧.

الاستعاري المستخدم في أمرٍ ذهني ليس بحاجة الى ان يشمل جميع ميزات المستعار منه بل نرى فيه جوانب من الاظهار والاخفاء[٢٤].

ومن هنا فإن النسق التصوري هو اساس لأي عملية استعارية ينقسم على ثلاثة انماط هي:

١- النسق التصوري الاتجاهي.

٢- النسق التصوري الانطولوجي.

٣- النسق التصوري البنيوي.

١- النسق التصوري الاتجاهي أو الفضائي:

يرى كل من لايكوف وجونسون ان هذا النسق كائن حي تحدده الاتجاهات المختلفة في الحياة اليومية، ويمكن أن يتجلى بعض النسق التصوري من التجارب المادية التي نشأت من ثنائية الاتجاهات الفضائية الفيزيائية منها (الامام/ الخلف، فوق/ تحت، عالٍ/ مستقلٍ، داخل/ خارج)[٢٥] وتُعد (خطاطة المسار) نوعاً هاماً من الاستعارة الاتجاهية تظهر لنا بشكل افقي نرى فيها مسارات مختلفة مرتكزة على ثلاث مراحل هي: المصدر او نقطة الانطلاق، ثم الهدف أو نقطة النهاية، ثم الاماكن المتوالية الرابطة بين المصدر والهدف.

ويمكن فهم المفاهيم الذهنية المتعلقة بالغايات المجردة عن طريق حملها على خطاطة المسار؛ لأنه نوع من الاستعارة الاتجاهية لوجود التعامل والتماثل بين الميادين الفيزيائية وميادين الامور المجردة.

ومن انواعها أيضاً (خطاطة الدورة) كدورات الازمنة المختلفة اليومية والشهرية والسنوية وغيرها[٢٦].

واما التجارب البشرية فلا تتوقف في الاتجاهات الثنائية باشكالها المختلفة؛ وإنما يجعل الانسان الامور الايجابية والمطلوبة كالنجاح والسعادة والانتصار على اساس تجربة فيزيائية فوقية ترتبط فيها وضعية الفرح والعلو بحالة عاطفية ايجابية، كما يعبر عن الامور السلبية كالاحباط والهزيمة والانهيار من اتجاه فضائية سلفية او تحتية ترتبط فيها وضعية الضِعة والانحدار بالحالة العاطفية السلبية كما ان الميت يدفن في موضع تحتي والارواح فوق وتنكس الرايات عند النكبات والمصائب وترتفع في الانتصارات[٢٧].

ومما جاء على هذا النسق التصوري قولنا: أنني في قمة السعادة. فالسعادة هنا ليست فضاء كونياً فيزيائياً لأنها ليست أمراً محسوساً ذا قمة، وبما أنها أمرٌ مطلوب وايجابي يُستعار لها لفظة القمة للإشارة الى مرتبتها العليا حسب التجربة الثقافية، وما يتعلق بالأسس الاتجاهية الفيزيائية هو (العدد، والقوة، والسلطة) اذ أن الاكثر يقع فوقاً، والاقل يقع تحتاً[٢٨].

ومن الضروري الاشارة الى أن كل ما يقع فوق ليس في الحالات جميعها فوقاً بل يتعلق ذلك بالتجربة تماماً، فالتصور الذي يجعل الاكثر فوقاً ليس ذاك التصور الذي يجعل الصحة فوق؛ لأن ما يحدد موضع الحكم هو التجربة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفرد والمجتمع والثقافة[٢٩].

٢٤- يُنظر: الاستعارات الادراكية في شعر فاروق جويدة: ٤٣.

٢٥- يُنظر: الاستعارات التي نحيا بها: ٤٠.

٢٦- يُنظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: ٦٧-٦٨.

٢٧- يُنظر: الاستعارات الادراكية في شعر فاروق جويدة: ٦٨-٦٩.

٢٨- يُنظر: الاستعارات التي نحيا بها: ٣٤-٣٧.

٢٩- يُنظر: الاستعارات الادراكية في شعر فاروق جويدة: ٧٢.

٢- الانساق الانطولوجية او الوجودية:

ويرى كل من لايكوف وجونسون أن هذا النسق ينبثق من خلال التجربة الجسدية للإنسان مع الاشياء الفيزيائية. فيمكن ان ينظر الى الافكار المجردة كالحقيقة مثلاً والانفعالات وعدّها اشياءً مادية، مما يسمح له ان ينظر الى الاحداث، والانشطة، والاحساسات انطلاقاً من الانساق الفيزيائية التي قد تحتوي على الوجود بالإطلاق عارياً من كل تحديد وتعيين.

ويبنيان استدلالهما على ذلك من خلال عملية ارتفاع الاسعار وهو ما نسميه بالتضخم المادي والذي يفهم عن طريق استعارة الكيان، وبهذا يحصل الانسان على طريقة للإحالة على هذه التجربة عن طريق تشخيصها[٣٠].

وتبرز قيمة هذه الاستعارة من خلال عملية التجسيد وفهم الواقع غير المنظور باستخدام الواقع الملوس لترسيخها في الذهن[٣١].

وتعد (خطاطة الاحتواء) أهم أقسام الاستعارة الوجودية لأنها تتعامل مع الامور المجردة بعدّها أوعية فيزيائية لها حدود وهي بمثابة وعاء (له داخل وخارج)[٣٢].

كما في عبارة ((أنت في ظلال مبين)).

الأنساق البنيوية:

تتشكل هذه الانساق بناءً على ترابطات نسقية داخل التجربة الانسانية للفرد؛ لأنها تسمح له بإيجاد الوسائل الملائمة والموافقة لتسليط الضوء على بعض المظاهر، فنجدها تعمل على اظهار بعضها واخفاء الاخرى.

إنَّ الانسان عندما يتبنى تصوراً معيناً نجده يستعمل الوسائل المتاحة كلها للدفاع عن هذا التصور ودعمه كالتحدي، والتهديد، والتسلط، والشتم، والتلميحات وغيرها، محاولةً منه تقديم حجج عقلية على شكل اسباب، ذلك عن طريق حمل الآخر تصورات تعكس ما يسعى اليه، ومن اجل ان يفهم الانسان فاعلية هذه الاستعارات التي تعد وسائل تكتيكية تُقدّم باعتبارها اسباباً[٣٣].

وخير ما يمثل هذا النسق ويدخل في اطاره قولنا:

الجدالُ حربٌ.

فالنمطان مختلفان وهما (الجدال. وهو خطاب لغوي) والحرب. وهو صراع مسلح.

فالاستعارة البنيوية حاضرة وواضحة بالجدال من خلال الحرب والمعايشة فيه اذ اننا نلاحظ الحرب كنسق تصوري مبني في الاذهان ومعروف لدى البشر، والمعايشة في الثاني بكل حيثياته تقدم لنا شيئاً آخر وهو يتفاعل الجدال على انه معركة وصراع فيزيائي. وكما يوضح لايكوف بقوله:

٣٠- يُنظر: بنيات المشابهة في اللغة العربية: عبدالاله سليم، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠١م: ٧٢.

٣١- يُنظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: ٤٧.

٣٢- المصدر نفسه: ٦٨.

٣٣- يُنظر: الاستعارات التي نحيا بها: ٨٢.

((المشكل اذن، انه ليس تصورنا عن الجدال وحده يرتكز على معرفتنا وتجربتنا مع المعوكة الفيزيائية، فطريقنا في انجاز الجدال ترتكز بدورها على ذلك، فأنت تتصور الجدالات وتدركها وتنجزها بالرجوع الى استعارة الجدال حرب، لأنها تشكل جزءً من النسق التصوري للثقافة التي نعيش فيها))[٣٤].

وهذا يحتاج الى قدرة استيعاب وفهم من قبل المرسل والمتلقي لأنها تؤثر بشكل قوي في تحقيق التأثير المراد من هذه الأنماط.

الاطار التطبيقي للبحث:

أولاً: المضامين الاخلاقية على ضوء النسق التصوري أو الفضائي:

وتتجلى هذه المضامين بعدة اتجاهات رصدها البحث هي:

١- الحذر من الوقوع في الخطأ وحسن الاختيار:

يُبين لنا الشاعر يحيى الغزال التصورات المجردة الاخلاقية بعدّها اتجاهات فيزيائية حسب العلو او السفلية وتنبثق من تجاربه اليومية ومن ثقافاته العامة فهو يفهم ويدرك كل مكرمة أو رَذيلة من خلال الاتجاهات الفيزيائية، ويكون معياره في نوعية الاتجاهات هو الصواب والمنطق اذ إن كل ما يوافقهما يقع في مقام شامخ وعالٍ. ونجد ذلك في قوله[٣٥]:

وخيرها ابوها بين شيخ	كثير المال أو حدثٍ فقير
فقالت: خطنا خسفٍ وما إنَّ	أرى من حظ وةٍ للمستخير
ولكن ان عزمت فكل شيء	احب الىّ من وجه الكبير
لأن المرء بعد الفقر يثرى	وهذا لا يعود الى صغير

فالانساق التصورية هنا تتجلى في الامور المجردة وهي مخالفة العقل والمنطق اذ تشير خطاطة المسار الى السقوط أي من العلو الى الاسفل.

فالتشكيل لكلمتي (شيخ-حدث) و (مال، فقر) اسهمت بشكل فاعل في بيان خطاطة المسار؛ لأن الشاعر رسم لنا بهذه النسقية طريقة الانتقال من مسير العلو الى مسير اسفل مفعمة نقطة النهاية او الهدف بالهلاك والخسران والسقوط.

٢- الاستعاذة بالله من سيئات الاخلاق وطلب التعالي بالفضائل:

ويظهر لنا ذلك في قول الشاعر[٣٦]:

أرى أهل اليسار اذا توفوا	بنوا تلك المقابر بالصخور
أبو الاّ مباهاةً وفخراً	على الفقراء حتى في القبور
فان يكن التفاضل في دارها	فإن العدل فيها في القعور
رضيتُ بمن تأنق في بناءٍ	فبالغ فيه تصريف الامور

٣٤- الاستعارات التي نحيا بها: ٨٣.

٣٥- ديوان يحيى بن حكم الغزال: جمعه وحققه: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣: ٩٢.

٣٦- ديوان يحيى بن حكم الغزال: ٦١.

الـمّـا يـبصـــروا مـا خـرّبـتـهُ الـد ... هـور مـن الـمـدائـن والـقـصـــور
لـعـمـر ابـيـهـم لـو أبصـــروهـم ... لـمـا عـرف الـغـنـي مـن الـفـقـيـر
ولا عـرفـوا الـعـبـيـد مـن الـمـوالـي ... ولا عـرفـوا الانـاث مـن الـذكـور
ولا من كـان يلبس ثوب صـــوفٍ ... مِـنَ الـبـدنِ الـمـبـاشـــر لـلـحـريـرِ
إذا أكـل الـثـرى هـذا وهـذا ... فـمـا فضـــل الكبير على الحقير

يهدف الشاعر في هذه الابيات الشعرية الى تبيين المفاهيم الاخلاقية المذمومة كالحرص والتعالي والكبر بما يختلج في النفس من خلجات دائمة متواترة ومستمرة اذ يجعل الانسان في حالة الصراعات الثنائية بين مذموم الافعال والمضامين الاخلاقية الحسنة كالقناعة والصبر وغيرها.

يشير الشاعر في ابياته الى الانساق التصورية الاتجاهية المستخدمة في التصورات المجردة ضمن الصفات الحسنة والمذمومة الى تثبيت مواضع هذه الصفات في نفسية المتلقي اذ يُبين بالاتجاهات الفضائية الموجودة في ابياته الشعرية السابقة صورتي (العلو والسفلية) ويقوم ذلك على ((اسقاط تجربة تفاعلات القوى المادية الصرفة على طبيعة التفاعل المفترض داخل الانسان))[٣٧].

كما نرى ان مقام التكبر والتعالي هو فوق. وقد تم بناء الاستعارة من خلال التجارب الثقافية للتقنيات الفيزيائية المستندة للعالم الخارجي ومن جهة أخرى ((يرى الانسان نفسه دائم الهفوات والاخطاء فهي مرتبطة بطبيعة النفس الامارة بالسوء وبالكيان الانساني الضعيف))[٣٨].

وكل خلق من هذه الاخلاق فاصم للنفس وفاصم لعرى العلاقات الحميمة بين الناس؛ لأنها تنتج المشاعر السلبية من الحزن اليأس مما يجعل الانسان في موضع اسفل وذلك من خلال التجارب الفيزيائية المحيطة بها فوضعية الفقر ترتبط بالدونية والضعة.

وان نقطة الهدف للشاعر في ابياته السابقة هي التواضع والاحسان لأن الجميع متساوٍ في الخلق وان العاقبة الايجابية هي نتيجة فعل الخير والتواضع في الدنيا وان النسق التصوري الاتجاهي تمثل بخطاطة اتجاهية وهو منحى العلو والارتفاع للتعالي والتكبر ويرى ان العلو يفصل بين الجميع اما القناعة والتواضع فقد اتخذنا اتجاهاً فضائياً دالاً على السفلية (تحت) وهي دلالة منخفضة ومفعمة بالانهيار.

ثانياً: المضامين الاخلاقية في ضوء النسق التصوري الانطولوجي أو الوجودي:

وتتجلى في ما يلي:

١- الثقة بالله وحسن الظن:

يقول الشاعر[٣٩]:

إذا اخـبـرت عـن رجـلٍ بـريء ... مـن الآفـات ظـاهـره صـــحـيـحُ
فســـلـهـم عـنـه هـل هـو آدمـي؟ ... فـان قـالـوا: نـعـم فـالـقـول ريـحُ
ولـكـن بـعـضـــنـا أهـل اســـتـتـار ... وعـنـد الـلـه اجـمـعـنـا صـــريـحُ

٣٧- دراسات في الاستعارة المفهومية، عبدالله الحراصي، كتاب تروى، عمّان، مؤسسة عمّان للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م: ١٤٦.
٣٨- منهج الامام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية، شلتاغ عبود دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢: ١٢٨ -١٢٩.
٣٩- ديوان يحيى بن حكم: ٤٣.

ومن انعام خالقنا علينا ... بان ذنوبنا ليست تفوحُ
فلو فاحت لاصبحنا هروباً ... فرادى في الغلاة و ما نستريحُ
وضاق بكل منتحلٍ صلاحاً ... لَنَتْنِ ذنوبه البلد القبيحُ

يتحدث الشاعر عن حاجة الانسان في سيرة حياته الى الثقة بالله وحسن الظن به لاسيما من اجل نيل الرضوان الالهي والوقاية من عقابه(٤٠).

إن الثقة بالله وحسن الظن به عبادة قلبية جليلة لا يتم ايمان العبد الا بها لأنها من صميم التوحيد وواجباته.

يتعامل الشاعر مع الثقة بالله وهي امر مجرد بِعدِّها كياناً او مادةً ثمينة غالية من خلال ما عاشه من التجارب الفيزيائية مع المواد اذ تعطيه أسساً اضافية لفهم استعارات وجودية متنوعة يبنيها ويصورها في ذهنه.

ان الثقة بالله مجازياً شيء ثمين يمتلكه الانسان وكما ان الناس لا يتساوون في ممتلكاتهم المادية فانهم ايضاً لا يتساوون في ما يمتلكونه من الثقة بالله.

((إنَّ نظر الملقي الى اللغة وتفاعلات الذهن نظرة سياسية، ما يمكن ان يعد ضرباً من ضروب نمط الاخلاق البرجوازية التي تبعد الناس عن الرفاهية المادية والهائهم بمادية اخلاقية في مستوى الاستعارة))(٤١).

وبعبارة اخرى تبرز هذه الاستعارة للمتلقي جانباً واحداً من تفاعل الانسان مع الثقة بالله وهو تأثير الثقة بالله على قدرة الانسان على النشاط والثبات، وهذا بدوره يقودنا الى القول بان الاستعارة ما هي الا اداة تصورية ادراكية تم استخدامها من اجل استعارة اكثر وكزية وهي ما يمكن تحديدها لغوياً بقولنا: ((الثقة بالله نشاط وثبات)).

ثالثاً: المضامين الأخلاقية في ضوء النسق التصوري البنيوي:

تتجلى في اتجاهات مختلفة نذكر منها:

١- الحذر من السلطان وعدم الثقة به:

يقول يحيى بن حكم الغزال(٤٢):

وأن أعطيت سلطاناً ... فحاذر صولة الزمن
اخو السلطان موصوف ... بحسن الرأي والفطنِ
فساعة ما يزاوله ... رماه الناسُ باللعنِ
ويصبحُ رأيه المحمو ... دُ منسوباً إلى الافنِ
وتبصرُ في مطيتهِ ... سقوط العين والاذنِ
كان بشاشةَ السلطانِ ... حينَ نزولُ لم تكنِ

٤٠- يُنظر: معارف الصحيفة السجادية، علاء الحسونة، وكز الابحاث العقائدية، قم، ط١، ١٣٩٣: ١١٢.
٤١- دراسات في الاستعارة المفهومية: ١٧٢.
٤٢- ديوان يحيى بن حكم: ٨٠.

إن ما يطرحه الشاعر هنا من صراع يقوم على استعارة (تفاعلات القوى)، وتفاعل انماط القوى تجربة مادية صرفة، وتعامل الشاعر مع الانسان المقصود والسلطان ونمط التفاعل بينهم هو تعامل استعاري اذ يُسقِطْ فيه تفاعل القوى المادية لتشكيل تصور عن تفاعل مفترض بين الاثنين والنتائج الممكنة التي تنتج عن هذا التفاعل هي ايضاً لواحق تفاعل القوى المادية.

فالنتيجة في حالة الصراع بين قوتين قد تكون فوزاً او خسارة لاحدهما. او تعادلاً، وهذا يعتمد أيضاً استعارياً على فكرة التوازن المادي.

اما اذا كان الانتصار لاحدهما فهذا يعتمد استعارياً على فكرة الانهيار المادي.

وبعبارة اخرى، تبرز هذه الاستعارة للمتلقي جانباً واحداً من تفاعل الانسان مع سخط السلطان وزوال اهتمامه بمن معه دون نفسه، وهذا يقودنا الى نتيجةٍ مفادها ان الاستعارة ما هي الّا اداة تصورية ادراكية تم استخدامها من اجل استعارة اكثر مركزية.

٢- اليقظة والادراك:

يقول يحيى بن حكم الغزال[٤٣]:

الناس خلق واحدٌ متشابه ... لكنما تتخالف الاعمال
ويقال حقُ في الرجالِ وباطلٌ ... أيُّ امرئٍ الا وفيه مقالَ
ولكل انسان بما في نفسه ... من عيبةٍ عن غيره اشغالُ
يستثقل اللمم الخفيف لغيره ... وعليه من امثال ذاك جبالُ
وينام عن دنياه نومةَ قانعٍ ... بنعيم دنياه، وذاك خيالُ
ورأيتُ السنة الرجال أفاعياً ... طوراً تثورُ وتارةً تغتالُ
فإذا سلمت من المقالةِ غيرما ... تنجي فأنت الاسعد المفضالُ

وهنا استعارة بنيوية مميزة تقوم على ما لدى الناس من تجارب وثقافة عن اليقظة والادراك.

اذ عبر عنها الشاعر بقوله:

ورأيتُ السنةِ الرجال افاعياً ... طوراً تثورُ وتارةً تغتالُ

فاستعارة صفة (الثوران والاغتيال) للتعبير الراقي عن اليقظة والادراك.

إن المتأمل في هذا القول يجد ان ثنائية (الموت والحياة) تشكلان مصدراً اساسياً استراتيجياً لخطاب الشاعر فالثورة هي مرحلة باهرة في حياة الرجال يمكن من خلالها ان نرى القضايا والاحداث رؤية صحيحة وسليمة اما الاغتيال فهي مرحلة مظلمة في الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية تفقد من خلالها الرؤية الصحيحة والسليمة وتجعلنا غير قادرين على تحديد المسار الصحيح.

وتبرز هذه الاستعارة جانباً من تفاعل الانسان مع اليقظة والادراك وتأثيرها على رؤية الانسان.

وهذا بدوره يعبر عن نتيجة مهمة وهي ان الاستعارة ما هي الا اداة تصورية ادراكية تم استخدامها من اجل استعارة اكثر مركزية يمكن تحديدها بقولنا: (الفهم رؤية).

٤٣- ديوانه: ٦٦.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في رحاب شعر يحيى بن الحكم الغزال وتحليل بعضاً من المفاهيم الاخلاقية في شعره من خلال الأنساق التصورية، والانطولوجية، والبنيوية توصلنا الى بعض النتائج هي:

١. قد انكرت نظرية اللسانيات الادراكية مفهوم العدول او الانزياح وانكرت التمييز المثالي بين اللغة العادية واللغة الابداعية، وعدّت الاستعارة نشاطاً فكرياً منغمساً في لغة الاستعمال في المعمار الذهني.
٢. لقد فاقت الاستعارة الادراكية الاتجاهية في شعر الغزال الاتجاهين الآخرين؛ لأن الشاعر عُرِفَ بنقده الاجتماعي بالدرجة الأساس اضافة الى اهتمامه بالمضامين الإنسانية المختلفة، وهذا ما جعل هذا النمط عنده يفوق الاتجاهين الآخرين.
٣. ان المذمومات الاخلاقية والنزاعات الشديدة تنطوي في جذورها على صراع بين النفس الانسانية والمحذورات وهذا الصراع انتج في شعر الغزال استعارات تعكس الثنائيات الاتجاهية بمنحى فضائي كالعلو والسفلية في هيجان مذام الافعال وغلبتها.

المصادر والمراجع

١. الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: د. منجد مصطفى بهجت، دار الباقر،النجف الاشرف، د. ط، د. ت.
٢. الادب العربي في الاندلس، تطوره، موضوعاته، واشهر اعلامه، د. محمد علي سلامة، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م.
٣. الاستعارات الادراكية في شعر فاروق جويدة (رسالة ماجستير)، جامعة الملك سعود؛ آمنة بنت علي بن هادي شراحيلي، ٢٠١٤.
٤. الاستعارات التي نحيا بها: جورج لا يكوف ومارك جونسون، ترجمة عبدالحميد جحفه، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩.
٥. الاستعارات والخطاب الادبي- مقاربة معرفية معاصرة: عمر بن دحمان (اطروحة دكتوراه)، الجزائر، جامعة مولود معمري، ٢٠١٢م.
٦. الاستعارات والشعر العربي الحديث: سعيد الحنصالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٩٥م.
٧. الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: عطية سلمان أحمد، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط١، ٢٠١٤.
٨. آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، لطيفة ابراهيم النجار، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب (١)، م ١٧، ٢٠٠٤.
٩. بنيات المشابهة في اللغة العربية: عبدالاله سليم، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.
١٠. البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، تحقيق: كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠.
١١. تاريخ الادب الاندلسي، د. محمد زكريا عناني، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩.

١٢. حرب الخليج او الاستعارات التي تقتل، جورج لايكوف، ترجمة: عبدالحميد حجفة وعبدالاله سليم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ٢٠٠٥.
١٣. دراسات في الاستعارة المفهومية، عبدالله الحراصي، كتاب تروى، عمّان، مؤسسة عمّان للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
١٤. ديوان يحيى بن حكم الغزال: جمعه وحققه: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣.
١٥. فصول في الادب الاندلسي، د. حكمت على الاوسي: مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٧٤م.
١٦. المطرب في اشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ)، تحقيق: مصطفى عوض، مصر، ١٩٥٧.
١٧. معارف الصحيفة السجادية، علاء الحسونة، وكز الابحاث العقائدية، قم، ط١، ١٣٩٣.
١٨. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م (جيان)، ويُنظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس لأبي عبدالله محمد بن ابي نصر الحميدي، قدمه وشرحه:د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
١٩. المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤.
٢٠. منهج الامام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية، شلتاغ عبود دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
٢١. النظرية الادراكية واثرها في الدرس البلاغي، صالح الهادي رمضان، ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول، الرياض، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ١٤٣٢هـ.
٢٢. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، للمقري التلمساني، تحقيق: يوسف الشيخ، دار الفكر للطباعة، ط١، ١٩٩٨.